Journal of Translation and Languages مجلة الترجمة واللغات
ISSN : 1112-3974

الترجمة وفعل استكتاب التاريخ الوطني: ترجمات أبو العيد دودو أبو القاسم سعد الله عبد الله الركيبي أنموذجا

د. حمودي محمد
جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم- الجزائر
m.hamoudi@yahoo.fr

Abstract: *Since the matter required us to rewrite our history, and it was difficult for us to find national sources, as is the case for some other peoples, and even if they existed, they were written by foreign authors, and were characterized by the mutilation, distortion and total obliteration of historical facts and events related to our identity, ancestors and their great exploits, translation is the alternative. The objective of writing our great history is what Abu al-Eid Doudou, Abdullah al-Rakibi, Abu al-Qasim Saadallah and others did.*

Translation is a cognitive act before it is a work on language, or travels between languages, it is a mediator of interaction between cultures, or a crossing between cultures and at the same time it is a channel of knowledge of identity, the identity of nations whose civilization and history embodied it, and a nation without history, without strength, it has neither a present nor a future.

The act of identity and the principle of feeling patriotism and affiliation pushed Abu Eid, Al-Rakibi, and Saadallah to know the history of Algeria, away from the tongue that ruled its dominance over Algerian people for a period of time. There is nothing wrong as long as it provides us with an addition to writing our glorious history through a different tongue in which some of its elements adhered to some integrity and honest transmission of historical events.

Abu al-Eid Doudou became aware that translation strengthens cultural patriotism and constitutes the borders that separate languages, societies, systems and minds, so he sought to translate many literary and historical resources, including what Western travelers wrote during their visit to Algeria from the Ottoman presence to the revolution of liberation and shortly after. He is also credited with the fairness of many Algerian personalities who were subjected to distortion, led by Prince Abdul Qadir, by some haters of Algeria, Arabs and Islam all what constitute national unity.

Keywords: *Translation, identity, history writing, Abu al-Eid Dodo, cognitive media, national memory.*

الملخص: بما أن الأمر تطلب منا إعادة كتابة تاريخنا، وكان من الصعب علينا إيجاد مصادر وطنية كما هو الحال بالنسبة لبعض الشعوب الأخرى، وحتى لو كانت موجودة فإنها كتبت من مؤلفين أجانب، وتميزت بالتشويه، التحريف والمحو التام للحقائق والأحداث التاريخية المتعلقة بهويتنا وأجدادنا ومآثرهم العظيمة، الترجمة هي البديل. الهدف من كتابة تاريخنا العظيم هو ما قاله أبو العيد دودو، وعبد الله الركيبي، وأبو القاسم سعدالله. فعل الآخرين ... الترجمة عمل معرفي قبل أن يكون عملاً على اللغة، أو ينتقل بين اللغات، فهو وسيط للتفاعل بين الثقافات، أو عبور بين الثقافات وفي نفس الوقت يكون قناة معرفة بالهوية وهوية الأمم جسدتها حضارتها وتاريخها، وأمة بلا تاريخ بلا قوة ليس لها حاضر ولا مستقبل. دفع فعل الهوية ومبدأ الشعور بالوطنية والانتماء أبو عيد والركبي وسعد الله إلى معرفة تاريخ الجزائر، بعيدًا عن اللسان الذي

سيطر على شعبه لفترة من الزمن. ولا حرج ما دامت تزودنا بإضافة إلى كتابة تاريخنا المجيد بلغة مختلفة تلتزم فيها بعض عناصرها ببعض النزاهة والصدق في نقل الأحداث التاريخية. أدرك أبو العيد دودو أن الترجمة تقوي الوطنية الثقافية والحدود التي تفصل بين اللغات والمجتمعات والأنظمة والعقول، فسعى إلى ترجمة العديد من المصادر الأدبية والتاريخية، ومنها ما كتبه الرحالة الغربيون أثناء زيارتهم للجزائر من الوجود العثماني. لثورة التحرير وبعدها بوقت قصير. كما يعود له الفضل في إنصاف العديد من الشخصيات الجزائرية التي تعرضت للتشويه، وعلى رأسها الأمير عبد القادر، من قبل بعض كارهي الجزائر والعرب والإسلام جميعًا.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، الهوية، استكتاب التاريخ، أبو العيد دودو، الوسائط المعرفية، الذاكرة الوطنية.

الترجمة قضية حضارية ملحفة، وضرورة تاريخية، وعملية فكرية نَمثُل عن طريقها **nous Traduire** أمام فكر الآخر ولغته، كما يقول هيدغر[1]، وحركة إنسانية تساير التقدم الاجتماعي والإنساني. وبوصفها من الوسائط المعرفية المهمّة فهي تساهم في تثاقف الشعوب وتلاقح الثقافات، كما أنها تعضد حقول معرفية أخرى في كتابة تاريخنا الوطني المجيد. ويستوجب الوقت الراهن أن نهتمّ بمعرفة تاريخ الثورات والبطولات التي شهدتنا بلادنا. ووفاق هذا المعطى تصبح التّرجمة مصدرا فاعلا من المصادر المتنوعة في تدوين الذاكرة الوطنية بوصفها مفتاح المستقبل.

ولما كان الأمر يتطلّب منا إعادة كتابة تاريخنا، واستعصى علينا إيجاد مصادر وطنية كما هو الحال بالنسبة لبعض الشعوب الأخرى، وحتى وإن وجدت فهي مكتوبة بيد مؤلفين أجانب، وتميزت بالدسّ والتشويه والطمس الكلّي للحقائق والأحداث التاريخية ذات الصّلة بهويتنا وأجدادنا ومآثرهم العظيمة، فإن الترجمة هي البديل الموضوعي لكتابة تاريخنا العظيم على نحو ما فعل أبو العيد دودو، وعبد الله الركيبي وأبو القاسم سعد الله وغيرهم ....

إن التّرجمة فعل معرفي قبل أن تكون اشتغالا على اللّغة، أو ترحل بين اللغات، إنها وسيط من وسائط التفاعل بين الثقافات، أو عبور بين ثقافات[2] وفي الوقت نفسه هي قناة من قنوات

[1] عبد السلام بن عبد العالي، في الترجمة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001، ص23.

[2] Jean René Ladmiral : Traduire, théorèmes la tradiction, payot, paris, 1979, pp13-146.

معرفة الهوية، هوية الأمم التي تجسّده حضارتها وتاريخها، وأمة بدون تاريخ لا قوام لها ولا حاضر ولا مستقبل لها.

لقد حرّك فعل الهوية ومبدأ الشعور بالوطنية والانتساب أبا العيد والركيبي وسعد الله لمعرفة تاريخ الجزائر، بعيدا عن اللّسان الذي حكّم سطوته على بني جلدته ردحا من الزمن فمال شطر لغة مغايرة فيها شيء من النزاهة، بالرغم من إن نظرة الآخر للأنا الدوني الهمجي المتخلف واحدة، ولكن لا بأس مادام يمدنا بإضافة لكتابة تاريخنا المجيد عبر لسان مختلف التزم فيه بعض عناصره ببعض النزاهة والنقل الأمين للأحداث التاريخية.

لقد وعى أبو العيد دودو أن الترجمة تقوي الوطنيات الثقافية والحدود التي تفصل اللغات والمجتمعات والأنظمة والعقول[3] فانبرى لترجمة الكثير من المصادر الأدبية والتاريخية، ومنها ما كتبه الرحالون الغربيون أثناء زيارتهم للجزائر منذ الوجود العثماني إلى الثورة التحريرية وبعدها بقليل. كما يعود له الفضل أيضا إلى إنصاف الكثير من الشخصيات الجزائرية ممن تعرضوا إلى التشويه وعلى رأسهم الأمير عبد القادر من قبل بعض الحاقدين على الجزائر والعربية والإسلام جميعا.

يرى دودو أنه "من واجب كل من يتقن لغة أجنبية أن يشارك في إعادة كتابة تاريخ بلاده بغض النظر عن ميدان اختصاصه. ومشاركته هذه تتمّ في نظري عن طريق عرض النصوص المكتوبة بهذه اللغة أو تلك وتقديمها للمؤرخ المتخصص لتقويمها وربطها بقرائنها التاريخية ثم مقارنتها بغيرها من النصوص لمعرفة مدى صحتها وموافقتها للوقائع التاريخية[4]" وانطلاقا من هذا المبدأ عكف على ترجمة الكثير من المصادر التاريخية، بالرغم من أن اختصاصه لم يكن التاريخ. والحقّ أن ما ترجمه من وثائق تاريخية "تفيد المؤرخين والجغرافيين وعلماء النفس والاجتماع والطبيعة والسلالات والأجناس وغيرهم..."[5].

ومن أعماله الترجمية:

[3] Anthony Pym : pour une éthique du traducteur, PUF1997, pp14- 40.

[4] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص6.

[5] حوار مع دودو أجراه الإعلامي التونسي كمال الرياحي، نشر في مجلة عمان، العدد 69، مارس 2001، ص54.

"مذكرات بفايفر أو لمحة عن تاريخ الجزائر[6]"، وقد صدر عام 1975، وهو للرحالة الألماني سيمون فردريك يفايفر. على أن أهمية هذه المذكرات المترجمة عن الألمانية تتموقع بالتحديد انطلاقا من الفصل السادس، حيث تحدث فيه صاحبه عن العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل الاحتلال أي أثناء الوجود التركي. كما ركز أيضا على المعركة التي جرت بين الأسطولين الجزائري والفرنسي، والتي شارك فيها الشعب الجزائري، كما رصد موقف بعض الأفراد من الجزائريين من الداي حسين آنذاك. بالإضافة إلى هذا تعرض بفايفر إلى الوقائع التي جرت في الشرق الجزائري، واستعدادات الجزائر للحرب بعد نزول الجيش الفرنسي للبر، ثم مقاومة الأهالي للغزو الأجنبي، مصورا في ذات الوقت المآسي التي خلفتها هذه الحرب. وفضلا عن ذلك بيّن موقف اليهود من قضية الاحتلال، والجرائم التي ارتكبوها. ولقد أجزم المترجم أن كثيرا من هذه الأحداث لم يأت على ذكرها أي مصدر آخر[7].

"قسنطينة أيام أحمد باي" لفندلين شلوصر: ونشر بين سنتي 1976-1977، وهو في جزأين، عني فيه المترجم بترجمة الجزء الثاني الخاص بالجزائر، ومن نافلة القول إن عنوان الكتاب المترجم تصرف دودو لطول العنوان الأصلي[8]*. على أن الفترة التي تحدث فيها شلوصر عن الجزائر كانت بين 1831و 1837. ما يلحظ على المُترجَم حديث صاحبه أي شلوصر عن شخصيات جزائرية تاريخية، كابن زعمون وأحمد باي وعلي بن عيسى وأحمد باي. ثم أوضاع مدينة قسنطينة أثناء احتلالها من قبل الطغيان الفرنسي، وموقف أهالي قسنطينة منه[9].

والذي هو جدير بالتنويه ههنا، أن المؤرخين الألمان اهتموا كثيرا بتاريخ الجزائر أثناء فترة الاحتلال الفرنسي، وقدموا عنها صورة ولو كانت مختصرة غير وافية، ومصادرهم التاريخية هذه التي ترجمها دودو تقوم على شهادات من عاصروا الأحداث وشاهدوها عن قرب، وعرفوا حقيقتها

---

[6] ينظر: سيمون بفايفر، مذكرات عشية الاحتلال، ط2، تر: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص10

[7] نفسه، ص13.

[8] العنوان الأصلي هو: رحلات في البرازيل والجزائر، أو مصائر فندلين شلوصر البومباجي السابق لأحمد باي قسنطينة".

[9] ينظر: فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1977، (المقدمة).

والطريقة التي تمت بها. وهذا لا يعني أن هؤلاء تحروا الصدق والنزاهة في كل ما قالوا إذ نلفي "كثيرا من الآراء المتطرفة والأفكار الخاطئة التي هي مجرد صدى لما كان يدين به ذلك العصر من رغبة في السيطرة والتحكم وشغف بالسلب والنهب والعدوان[10]".

وفي هذا السياق كذلك ترجم دودو ما نقله الرحالة والمؤرخ الألماني موريتس فاغنر في كتابه: **"رحلات في ولايات الجزائر في سنوات 1863، 1837، 1838"**. ويشير دودو إلى أن فاغنر استمد معلوماته عن تاريخ الجزائر الحديث عن "الحوليات الجزائرية" لبيليسي، ومن محادثاته مع بعض الشخصيات الهامة التي عاشت الكثير من الأحداث التاريخية، كما هو الحال مع صديقه مورالت السويسري الذي حدثه عن اللقاء الذي جرى بين الأمير عبد القادر والجنرال بوجو في التافنة، كما أخذ عن بعض المارقين الألمان الذين عاشوا في الجزائر مدة طويلة. ويقرّ فاغنر أيضا بأنه أخذ بعض المعلومات من بعض المواطنين الجزائريين. كما سجل أحداثا شاهدها بنفسه في الحملات الثلاث التي شارك فيها عضوا للجنة العلمية، وهي حملة البليدة ورغاية وقسنطينة[11].

هذا وثمّة من الرحالين والمؤرخين الألمان من لم يعتمد على من سبقه على الإطلاق، وإنما اكتفى برآه شخصيا، ومن هؤلاء كليمنس لامبينغ في كتابه **"مذكرات عن الجزائر"** الذي نشره سنة 1844. ولقد وصف فيه بعض المعارك التي شارك فيها[12].

"**الأمير عبد القادر**" (ليوهان كارل بيرنت): وهو في الأصل "**ثلاث سنوات من حياة ألماني بين العرب**"، غير أن المترجم تصرف في العنوان، يقول: "ولا يخفى أنني أضفت كلمة الأمير إلى عنوان الكتاب، لأنها أصبحت صفة ملازمة للبطل الجزائري وحلت محل كلمة السلطان التي كانت شائعة بين رعاياه أيام مقاومته للغزو الأجنبي[13]". ونشر بيرنت كتابه في برلين عام 1840، وترجمه دودو عن نسخة صوّرها من مكتبة برلين الشرقية، وصدر عن دار هومة سنة 1997. ويقدّم فيه صاحبه وصفا حيّا عن حياة الأمير ووضعه السّياسي ودهاءه وشجاعته، وعن

[10] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص8.

[11] أبو العيد دودو، دراسات أدبية مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص72-73.

[12] نفسه، ص74.

[13] يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص10 وما بعدها.

شخصيته بشكل عام. كما يتحدث عن ثقافته وتمكّنه من اللّغة العربية والأدب العربي، وقراءاته لدواوين الشعر العربي، وعن أسرته وقلّة رؤيته لها، وعن أسلوب حياته وطريقة معيشته البسيطة، ويتحدث [14]أيضا عن حبّ الأمير العفيف على أن كارل بيرنت يقدم لنا أيضا وصفا مفصلا لمعارك التافنة التي جرت بين الفرنسيين والأمير عبد القادر، وعن محاربته للبرجية.

والواضح أن هذه الترجمة كانت للمؤرخين سندا إضافيا للمصادر الأخرى، وتأتي أهميته من كونه يعتبر وثيقة مهمة صدرت عن شاهد عيان قدم ما لم يتوفر للمؤرخين عن الأمير عبد القادر من أخبار عنه في مصادر أخرى[15].

"الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر" لـ أ.ف دينيزن وهو دانماركي الجنسية، كتبة بلغته، وترجمه إلى الألمانية أوغست فون كليلتش، والعنوان الأصلي للكتاب هو **"عبد القادر والعلاقات بين الفرنسيين والعرب في أفريقيا الشمالية"**، وقد ترجمه دودو سنة 1999، وصدر عن دار هومة في السنة نفسها، ويقصر فيه المؤلف حديثه على منطقة وهران، ويتعرض إلى حياة الأمير عبد القادر وتعلّمه للمهارات البدنية، ودراسته للعلوم المختلفة الدينية والتاريخية، ثم يبدأ الحديث بعد ذلك مباشرة عن معارك الأمير ضدّ أعدائه من المستعمرين الأجانب والخونة من مواطنيه، ثم مهادنته لفرنسا. ويتحدّث أيضا عن اهتمام الأمير بالصناعة، وكذلك عن اهتمامه بالقضايا الاقتصادية والتجارية. ثم يعود مرّة أخرى إلى الحديث عن العداوة التي بدأت من جديد بين الأمير وجنرالات فرنسا، ثم المعاهدات التي أبرمت بين الطرفين[16].

ويرى المترجم بأن دينيزن "قد يكون الأوروبي الوحيد الذي أنصف الجزائريين ولم يصفهم بالوحشية، خلافا لما تعود عليه معظم الذين تصدوا للكتابة عنهم. وإنما نظر إليهم على أنهم أبناء شعب تعوّد على الاستقلال والحرية، وعندما احتل الأجنبي بلادهم، قاموا ليدافعوا عنها ببطولة كبيرة، وقائدهم في ذلك روحهم الوطنية ورجل استطاع أن يجمعهم ويوحد كلمتهم

14

[15] نفسه، ص22.

[16] نظر: أ.ف. دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، ص5 وما بعدها.

وحاول ويحاول أن يجعل من شعبهم أمة، ويرى أن الوصف بالوحشية، وإن لم يقل ذلك صراحة، ينطبق على المستعمر وعلى من يخون شعبه ووطنه[17]".

وركحا على ما سبق، بات واضحا أن الترجمة تعتبر مصدرا من المصادر الهامة التي تحفظ الذاكرة الوطنية وتسجل تاريخ الأمم، ولو من لغة غير لغتها الأم، ولو أن المرجعية الاستكتاب ليست من أبنائها سواء أكانوا مؤرخين أم مجاهدين أم عاشوا الحدث. فالمترجم يعدّ طرفا لا يمكن الاستغناء عنه في تدوين تاريخ الشعوب، والمزية عنده معرفته باللغات الأخرى، ومن ثم أمكنه الاطّلاع عن الوثائق والمصادر التي تعضده على في استكشاف ما لم يكشف. يقول موريس بلانشو: "هل نعرف حقا ما ندين به للمترجمين، وما ندين به للترجمة على الخصوص؟ إننا لا نعرف ذلك حق المعرفة. وحتى وإن كنا نعترف بفضل أولئك الذين يزجون بأنفسهم في غمار تلك المهمة المحفوفة بالألغاز، والتي هي مهمة المترجم، حتى وإن كنا نحيي فيهم كونهم معلمي الخفاء لثقافتنا[18]".

لقد سعى دودو عبر الترجمة بوصفها وسيطا معرفيا إلى مشاركة المؤرخين والأدباء والجغرافيين للحفاظ على خصائص أمتنا المتوارثة، والوقوف ضد التيارات الجارفة، تجنبا للانسلاخ والعبودية الفكرية والتبعية الحضارية. إيمانا منه بأن التاريخ لا يكتب نفسه بنفسه، فهو انطواء وموت بطيء وظلام، وعليه استوجب إحياؤه وإعادة كتابته بطرق سليمة[19]. والحقّ أن هذا العمل مُوكل إلى المؤرّخين بالرجوع إلى الكتب المظان التي تُؤرّخ لحقب زمنية من تاريخنا المجيد، ولكن كيف ذلك والمصادر الوطنية تكاد تكون في حكم المفقود، وأغلب معلوماتنا التاريخية يستند فيها مؤرخينا إلى ما كتبه الأجانب على اختلاف مشاربهم وتباين انتماءاتهم؟!

وإذا كان أبو العيد دودو غير متخصص في التاريخ -كما ألمح في أكثر من مرة- واجتهد في خدمة تراثنا التاريخي عبر الترجمة، فإنّ أبا القاسم سعد الله من أهل التخصص، وقد أسهم في كتابة تاريخنا الوطني، ومن لغة أجنبية أخرى، وهي الإنجليزية. ورغم العسر الذي لاقاه في التّرجمة من هذه اللّغة إلى العربية في كتاب "حياة الأمير عبد القادر" لشارل هنري تشرشل، إلاّ

---

[17] نفسه، ص14.

[18] موريس بلانشو، أسئلة الكتابة، تر: نعيمة بنعبد العالي وعبد السلام بنعبد العالي، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 2004، ص83.

[19] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، 5-6.

أنه أجهد نفسه في أن ينقل إلينا، وبأمانة علمية دقيقة، سيرة وحياة الأمير. يقول سعد الله:(ورغم أنه سبق لي أن ترجمت بعض الأعمال الأخرى فإن هذا أول عمل مطول قمت به. ومن الملاحظ أن اللغة الإنكليزية في تطور مستمر وإن تعابير وأسلوب القرن التاسع عشر قد أصبحت صعبة أو غير مستصاغة اليوم، ولذلك فإن نقل عمل كهذا لا يخلو من صعوبة ومن مشقة، بالإضافة إلى أن المؤلف كان يكتب أحيانا بأسلوب اختصاصي دقيق حين يصف المعارك والمناورات الحربية، وبأسلوب رومانتيكي حين يتعرض لوصف آمال الأمير ومهارته وشخصيته، وكلا الأسلوبين صعب على المؤرخ الذي له أيضا أسلوبه في الكتابة والنقل والاستيعاب[20].

لقد ترجم سعد الله كثير من الوثائق التاريخية التي سجلها بعض الغربيين من العسكريين والرحالة، بل ومن بعض المعجبين بشخصيات المقاومة الشعبية الجزائرية أو الثورة التحريرية المظفرة، كالأمير عبد القادر وغيره .... من اللّغتين الفرنسية والإنجليزية. ولعلّ أهمّ ما نقله إلى العربية الكتاب السالف الذكر "حياة الأمير عبد القادر" لشارل هنري تشرشل.

إن حرص سعد الله على نقل ما ذكره تشرشل نقلا صحيحا وموضوعيا جعله يقصد مدينة معسكر مسقط رأس الأمير، وبالضبط في القيطنة، والمكوث بها عدّة أيام، وزيارة كل الأماكن التي دأب الأمير على ارتيادها. (والواقع أن هذه الزيارة ضرورية لأكثر من سبب، فنقل الكتاب من لغة أجنبية إلى العربية يستلزم إعادة كثير من الألفاظ والمصطلحات إلى أصلها العربيّ نطقا وكتابة. وإن نقل النص من لغة ذات حروف لاتينية إلى أخرى مماثلة ليس فيه مشقة البحث عن أصول الكلمات العربية كالتي يواجهها من ينقل لغة ذات حروف لاتينية إلى العربية. ومن أجل ذلك وجدت صعوبة شاقة في إعادة كثير من أسماء الأعلام والقبائل والأماكن الواردة في الكتاب إلى أصلها العربي. وكان لا بدّ من الاتصال بأهل البلاد، والكبار منهم على الخصوص[21].

ومن نافلة القول إن سعد الله شرع في ترجمة الكتاب من لغته الأصلية (الإنجليزية) عام 1969، وبعد الانتهاء من الترجمة العربية، صدرت الترجمة الفرنسية، وقد انتهض بها ميشيل

[20] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص**6- 7.**

[21] نفسه، ص5.

هابار، ونشرتها الشركة الوطنية الجزائرية للنشر والتوزيع[22] عام 1971. ولعلّ من بواعث إقدام المترجم على نقل الكتاب إلى العربية، اقتناعه بأهميته (ذلك أن المؤلف قد جمع فيه وثائق أصلية يبدو أنه حصل عليها من الأمير نفسه أو من عائلته مباشرة. وأهم من ذلك هو أنه كتبه، كما يقول، من إملاء الأمير نفسه[23]. ويؤكدّ المترجم أنه رغم الكتابات العديدة التي اعتنت بترجمة شخصية الأمير وحياته، فإنه لم يُلفِ ترجمة وافية في أية لغة مثلما هي عند تشرشل. فمع أن الفرنسيين عُنُوا بالأمير ولاسيما بعد عام 1847، ويملكون وثائق مهمة عن حياته وعلاقاته ومجالات تفكيره، فإنهم لم يكتبوا عنه إلاّ أشياء متفرقة. على أن أفضل ترجماتهم لشخصية الأمير انتهض بها كل من: الاسكندر بيلمار في كتابه "عبد القادر: حياته السياسية والعسكرية". ونشره بباريس عام 1863. ثم كتاب الكولونيل بول أزان الذي نشر عام 1925. وقد لاحظ سعد الله أن كلا المؤلفين ركزا على الجوانب السياسية والعسكرية من حياة الأمير. والشأن نفسه بالنسبة لأعمال ليون روش **L. Roches** في كتابه الذي نشره بباريس بين عامي 1884- 1885 والموسوم: "اثنتان وثلاثون سنة عبر الإسلام"، وكذلك ما كتبه الجنرال دوما **Daumas** بالرغم من أنه لم يجمعها في كتاب واحد[24].

يرى سعد الله أن ترجمة تشرشل تمتاز عن هذه الترجمات وغيرها، بكونها تجمع أولاً إلى الحوادث السياسية العسكرية عنصرا هاما في حياة الأمير، وهي الروح الدينية والمواقف الإنسانية والاجتماعية، وأمّا ثانيا، فهي تهتم بالبحث لذاته[25].

والذي تجدر الإشارة إليه في هذا السّياق، مثلما يؤكّد سعد الله، إعجاب الإنجليز بشجاعة الأمير، ومقاومته للفرنسيين، بل إن الأمر تعدّى ذلك إلى حدّ أنهم أمدّوه ببعض الأسلحة والذخيرة من مراكزهم في المغرب وإسبانيا، وغطت صحفهم أخباره بإعجاب كبير، وتناوله شعراؤهم، بل دخل حتى في أدبهم الشعبي. وتبادلوا معه الرسائل وانتصروا له عند سجنه في فرنسا[26].

---

[22] نفسه، ينظر هامش ص6.

[23] نفسه، ص6.

[24] نفسه، ص7-8.

[25] نفسه، ص8.

[26] نفسه، ص9.

لقد استغل تشرشل فرصة قدوم الأمير إلى اسطنبول ثم ببروسة عام 1853، بعد إطلاق سراحه والسماح له بالإقامة في الدولة العثمانية، فزاره ببروسة في سبتمبر من نفس العام. والواضح أن العلاقة بينهما توطدت، حيث نلفي الأمير يبيت عنده في جبل لبنان أثناء رحلته إلى دمشق عام 1855. ويعتقد سعد الله أن بعد هذا اللقاء الذي جمع بينهما، عزم تشرشل على كتابة سيرة وحياة شخصية الأمير. وقد شرع فعلا في تنفيذ مشروعه بين عامي 1859و 1860، حيث اتفق مع هذا الأخير على الجلوس معه ساعة في كلّ يوم على مدى خمسة أشهر[27].

وينتهض كتاب تشرشل - كما بيّن المترجم- على مبدأين[28]:

أولا: تمجيد بطولة الأمير الحربية. بوصفه شريفا وبطلا ومصلحا.

ثانيا: تمجيد مواقفه الإنسانية. بوصفه تقدمي الفكر، نزّاعا إلى التسامح (إنقاذه المسيحيين المهددين في الشام).

على أن المؤلف-كما يشير المترجم- استطاع إيفاء كلّ الموضوعات حقها فيما له علاقة بحياة الأمير:

- تربيته وتكوينه الطبيعي والديني، والبيئة الاجتماعية التي كان يتفاعل معها.
- النظام الإداري الذي حاول إقامته، ومناوراته وخططه العسكرية.
- روح التقدم والإصلاح الذي كان يتميز به، وحسن معاملته للأسرى.
- صبره على المكاره، وعدم يأسه.
- إعجابه بالحضارة الغربية والتقدم الإنساني.
- حبه للعلم وتعلقه بدينه وعزوفه عن الدنيا وشهامته[29].

والحق أن سعد الله في ترجمته لكتاب هنري تشرشل قدّم إضافات كبيرة للتّراث التّاريخي الوطني، ولاسيما في هذه الفترة، وما لها علاقة بالأمير عبد القادر ومقاومته الشعبية للمحتل الفرنسي، وقضية انهزامه أو استسلامه، وعلاقته بفرنسا وموقفه منها بعد ذلك. وقد يقول قائل أن المترجم لم يزد على أنه نقل أحداثا تاريخية كتبها المؤلف بذاتيته شيئا، وفيها بعض الموضوعية

[27] نفسه، ص13- 14.

[28] نفسه، ص14.

[29] نفسه، ص28.

شيئا آخر، ولكن الواقع أن المترجم باعتباره مؤرخا يتقن فن تنظيم السرد، فإنه أسهم في صناعة هذا من الناحية التاريخية، أمّا من الناحية اللغوية والفنية، فكان عمله الترجمي، وهو يحاول التقريب بين لغتين، أشبه بعمل هرقل وهو يحاول التقريب ما بين ضفتي البحر، على حدّ قول موريس بلانشو[30]. ذلك أنّه عانى في تحويل معاني ودلالات ما كتبه تشرشل تاريخيا، إلى لغة تنحو في الغالب منحى أكاديميا معقدا، يحتاج إلى بحث وتركيز وإنعام نظر في ألفاظها، وبنياتها التركيبية. والمعلوم أن الرسالة التي يستهدفها المترجم (تتألف من معنى ومبنى، وعليه أن ينقل المعنى كما هو، وأن ينقل المبنى إلى ما يساويه في لغته[31]. وعليه، فليس من الهيّن إيصال صورة الآخر عن الأنا في تجلياتها المختلفة، ولاسيما إذا كانت هذه الأنا ذائعة الصّيت ولاقت استئثارًا على كامل الأصعدة، عبر قناة الترجمة بما هي فعل اتّصال[32].

وضمن هذا المسعى، تندرج كذلك ترجمات عبد الله الركيبي لبعض النصوص الرحلية لكتاب إنجليز، والرحلة باعتبارها(فعلا إنسانيا، في كل المراحل، وبأشكال مختلفة، حاملة لتجارب وخبرات[33] الكتاب والرحّالة، (متعايشة ومشاركة للتاريخ والميثولوجيا والأدب[34].

ولقد أسهم هؤلاء الرّحالة كغيرهم من الأجانب الذين زاروا الجزائر، وردحوا بها زمنا غير يسير في كتابة تاريخها الحديث، (فسجلوا مشاهداتهم وانطباعاتهم وما لاحظوه أو عاشوه[35]). ولعلّ هذه الرحلات تستوعب معلومات غزيرة عن الوطن العربي - مشرقه ومغربه - تمكّن الباحثين والأدباء والمؤرخين، من الاطّلاع على أحوال المجتمع العربي في القرون الماضية وكذا العصر الحديث[36].

---

[30] عبد السلام بنعبد العالي، في الترجمة، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2001، ص61.

[31] جورج مونان، المسائل النظرية للترجمة، تر: لطيف زيتوني، ط1، دار المنتخب العربي، لبنان، 1944، ص23.

[32] نفسه، الصفحة نفسها.

[33] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص.06

[34] نفسه، ص8- 9.

[35] عبد الله الركيبي، الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص12.

[36] نفسه، ص12.

والواضح أن عناية هؤلاء الرحالة الذين قصدوا الجزائر تنوعت، فمنهم من عني بالسياسة، ومنهم من ركّز على وصف تضاريس الجزائر وطبيعتها الخلابة، ومنهم من اهتم بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، مبينا أثر ذلك على حياة الشعب، ومنهم من جاء للجوسسة، ومنهم من جاء لأغراض أخرى. على أن المترجم صنّف رحلاتهم إلى سبعة أنماط:

المصنّفات التاريخية: التي كتبها الإنجليز عن الجزائر ماضيا وحاضرا: مثل: "القراصنة المتوحشون" لـ س. لي بول المنشور عام 1890. و"حرب متوحشة من أجل السلام في الجزائر من 1954 إلى 1962" لـ ليستر هورن، وقد طبع بلندن عام 1977. وإلى جانب ذلك كتابات دونها قناصل عاشوا في الجزائر أثناء العهد التركي أو أثناء الاحتلال الفرنسي.

الرحلات التي كانت عنايتها بدراسة منطقة جغرافية معينة: مثل "رحلة في ربوع الأوراس" لهيلتون سيمبسون.

الرحلات التي تعاطف أصحابها مع الجزائر: ومن بينها:

- "بسكرة بداية الصحراء" لـ س.هـ. ليدر
- "جولات في الجزائر العاصمة وما حولها" لـ ل.ج. سيقورين.
- "الصحراء ملاذا" للمؤلفة إيديث هالفورد نيلسون، والتي تحدثت فيه عن ثورة الأوراس عام 1916.

الرحلات التي تحامل أصحابها على الجزائروساندوا فرنسا: ومن بينها:

- "الجزائر عل حقيقتها" لـ م.د. ستورت.
- "جزائر اليوم" للرائد قوردون كاسلي.
- "بلد القراصنة" لـ رايكيسان فيلدنج.
- "الملعب الجديد" أو "جولات في الجزائر" لـ ألكسندر م كوكس.

الجوسسة: وألفى المترجم كتابا واحدا لضابط إنجليزي لم يذكر اسمه، وإنما كتب: ضابط في اللفيف الأجنبي رقم 1384. والكتاب بعنوان: "الدورية العربية". وقد نقل هذا الضابط تجربته في التجسس خدمة للفرنسيين، ومن ذلك الدور الذي لعبته فرقته في مطاردة الوطنيين الجزائريين ولاسيما بمنطقة وادي ميزاب.

المغامرة: ومن بين ما عثر عليه الركيبي في هذا الإطار، كتاب لضابط إنجليزي اسمه ر.ق.س باردلي بعنوان:"ريح الصحراء". عاش هذا الضابط في مدينة الجلفة، حيث غادر العسكرية بمحض إرادته، واختلط بالعرب، وأصبح بدويا يرعى المواشي ويسكن الخيمة، واندمج مع أهل المنطقة بشكل عادي. ممّا دفع به إلى اعتناق الإسلام.

رحلات كتبت بطريقة المذكرات: ومنها كتاب واحد عثر عليه المترجم بعنوان:"بسكرة والصحراء" لـ جيمس بيرنلي صدر[37] عام 1906. وجلّ هذه التصانيف لها وشيجة بتاريخنا المجيد، القديم منه والحديث، ومن ثم فحقيق بنا، وبالباحثين من المؤرخين والجغرافيين، إيلاء العناية لها، ذلك إنها توفر معلومات دقيقة ومركزة، أيّا كان الدافع وراءها، وهذا لا يعدم الباحث من غربلة الشوائب، وتخليص ما كان ملوثا، لإضفاء الموضوعية والمعقولية عليها.

هذه إذن نماذج من الترجمات التاريخية اضطلع بها باحثون جزائريون خدمة لتاريخهم المجيد، (ومهمة المترجم هي أن يسمح للنصّ بأن يُنقل من ثقافة إلى أخرى، وأن يمكّنه أن يبقى ويدوم ... وبهذا المعنى تكون الترجمة لا علامة على تبعية ونقل وتجمّد وموت، وإنما على انفتاح وغليان وتلاقح وحياة[38]. إن خدمة التّراث التّاريخي تبدأ بجمع الوثائق وفحصها وتحقيقها، ثم بعد ذلك التّفكير في الإقدام على ترجمتها. ومثل هذا الصّنيع استهدفه مترجمينا فعكفوا على ترجمة الوثائق التاريخية وما كتبه الرحالة الأجانب عن الجزائر، وهذا يعدّ تحقيقا لعامل الهوية بلسان الغير، ولكن بعد التمحيص والغربلة والتحقّق، تلافيا لكل دسّ أو تدليس.

ومهما يكن من أمر، فإن الترجمة ستظل قناة من قنوات إثبات الذات انطلاقا من رؤية الآخر الإيجابي طبعا، وستبقى (هي ما ينفخ الحياة في النصوص وينقلها من ثقافة إلى أخرى، ومن لغة إلى أخرى[39]. وضمن هذا السياق، نؤكد بما لا يدع مجالا للشك،

إن النصوص التي كتبها الأجانب على تعددهم، واختلاف جنسياتهم تظلّ تشكل قسما هاما من التراث الوطني لا تزال أرومته العربية مجهولة بالنسبة لنا. ممّا يستوجب العمل على رصدها بتمكين الباحثين المتخصصين من الحصول عليها من المؤسسات الأكاديمية الثقافية

[37] نفسه، ص19- 24.

[38] عبد السلام بن عبد العالي، في الترجمة، ص32.

[39] نفسه، ص31.

والأنتروبولوجية والتاريخية الأوروبية بخاصة والغربية بعامة، ثمّ إخضاعها للفعل الترجمي بغية الوقوف على الحقائق التاريخية الغائبة في المصادر المتوفرة لدينا.

References

[1] Abū al-‘Īd Dūdū, al-Jazā’ir fī Mu’allafāt al-raḥḥālīn al-Almān, al-Mu’assasah al-Waṭanīyah lil-Kitāb, al-Jazā’ir, 1989.
[2] Abū al-‘Īd Dūdū, Dirāsāt adabīyah muqāranah, Dīwān al-Maṭbū‘āt al-Jāmi‘īyah, al-Jazā’ir, 1991.
[3] U. F. dynyzn, al-Amīr ‘Abd al-Qādir wa-al-‘alāqāt al-Faransīyah al-‘Arabīyah fī al-Jazā’ir, tara : Abū al-‘Īd Dūdū, Dār Hūmah.
[4] Jūrj mwnān, al-masā’il al-naẓarīyah lil-Tarjamah, tara : Laṭīf Zaytūnī, Ṭ1, Dār al-Muntakhab al-‘Arabī, Lubnān, 1944.
[5] Ḥiwār ma‘a Dūdū ajrāhu al-I‘lāmī al-Tūnisī Kamāl al-Riyāḥī, Nashr fī Majallat ‘Ammān, al-‘adad 69, Mārs 2001.
[6] Sīmūn bfāyfr, Mudhakkirāt ‘ashīyat al-iḥtilāl, ṭ2, tara : Abū al-‘Īd Dūdū, Dār Hūmah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Jazā’ir, 1980.
[7] Shārl Hinrī Tshurshil, ḥayāt al-Amīr ‘Abd al-Qādir, tarjamat wa-taqdīm wa-ta‘līq : Abū al-Qāsim Sa‘d Allāh, al-Sharikah al-Waṭanīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Jazā’ir, 1982.
[8] Shu‘ayb Ḥalīfī, al-Riḥlah fī al-adab al-‘Arabī, al-tajnīs, ālīyāt al-kitābah, Khaṭṭāb al-mutakhayyal, Ṭ1, ru’yah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Qāhirah, 2006.
[9] ‘Abd al-Salām ibn ‘Abd al-‘Ālī, fī al-tarjamah, Ṭ1, Dār al-Ṭalī‘ah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr, Bayrūt, Lubnān, 2001.
[10] ‘Abd Allāh al-Rakībī, al-Jazā’ir fī ‘Uyūn al-raḥḥālah al-Injilīz, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, al-Jazā’ir, 2009.
[11] ‘Izz al-Dīn Ismā‘īl, al-shi‘r al-‘Arabī al-mu‘āṣir, qaḍāyāhu wa-ẓawāhiruhu al-fannīyah wa-al-ma‘nawīyah, al-Maktabah al-Akādīmīyah, al-Qāhirah, Ṭ 5, 1994.
[12] Fndlyn shlwṣr, Qusanṭīnah Ayyām Aḥmad Bāy, tara : Abū al-‘Īd Dūdū, al-Sharikah al-Waṭanīyah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Jazā’ir 1977.
[13] Mūrīs blānshw, as’ilat al-kitābah, tara : Na‘īmah Bin-‘Abd al-‘Ālī wa-‘Abd al-Salām Bin-‘Abd al-‘Ālī, Ṭ1, Dār Tūbqāl lil-Nashr, al-Maghrib, 2004.
[14] Johann Kārl byrnt, al-Amīr ‘Abd al-Qādir, tara : Abū al-‘Īd Dūdū, Dār Hūmah lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, al-Jazā’ir, 1977.
[15] Ladmiral, J-R. (1979). Traduire, théorèmes la tradiction, payot, paris, 1979.
[16] Pym, A. (1997). Pour une éthique du traducteur, PUF.